# عون الولي الحميد بشرح كتاب التوحيد
# للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

الشارح..
الشيخ عصام بن عبد المنعم المري حفظه الله

## ٦٤ باب - لا يستشفع بالله على خلقه

**عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله ! سبحان الله !» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال : «ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد» وذكر الحديث ، رواه أبو داود.**

**فيه مسائل:**

**الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك».**

**الثانية: تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.**

**الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».**

**الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله».**

**الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.**

---

**قوله : ( باب لا يستشفع بالله على خلقه )** هذا الباب مشترك مع الباب الذي قبله في قضية ضبط الأقوال التي تخرج من المسلم والتي ينبغي أن ينتبه لها الشخص بألا تكون منقصة لتوحيده أو منافية له ولا يكون فيها قدح في توحيد الله جل وعلا يعني توحيد العبد لربه جل وعلا. سيأتي في الحديث أن الخطأ الذي جرى على لسان أعرابي عندما قال «**إنا نستشفع بالله عليك**» وحديث الباب الماضي جاء الخلل على لسان عابد من بني إسرائيل عندما تألى على الله سبحانه وتعالى ألا يغفر لفلان، فذاك عابد وهذا أعرابي فيستفاد من هذا فائدة عظيمة وهي فائدة العلم خاصة في مسائل العقيدة، فالعابد حصل عنده خلل في كلامه أدى إلى أنه خسر دنياه وآخرته، كلمة قالها أوبقت دنياه وآخرته، وهنا الأعرابي جاء يستسقي بالنبي ﷺ فقال هذه الكلمة العظيمة «**نستشفع بالله عليك**» يعني يجعل الرب سبحانه وتعالى واسطة عند الرسول الكريم ﷺ وهذا قدح في التوحيد وخلل في توحيد الربوبية، يعني الأعرابي

أراد أن يجعل رب العالمين واسطة عند الرسول ﷺ فهو بهذا جعل مرتبة الرسول ﷺ أعظم وأعلى من مرتبة الله سبحانه وتعالى فحصل الخلل.. ولذلك استعظم هذا النبي الكريم ﷺ فقال: « **ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك** » فهذا فيه فائدة العلم، فنور العلم، يضيء للإنسان المسلم حياته ويمنعه من الوقوع في هذه المخالفات الشنيعة التي قد تجر به إلى النار ويفقد حسناته والعياذ بالله تعالى.. فهذه مناسبة ما بين هذا الباب والباب السابق..

**باب لا يستشفع بالله..** الاستشفاع مأخوذ من الشفاعة والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ضد الوَتر. وقد سبق الكلام على هذا في باب الشفاعة ونشير هنا إشارات لرؤوس مسائلها والشفاعة هي التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة.. وتنقسم الشفاعة باعتبار وقتها إلى قسمين شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية.. فالشفاعة الدنيوية تنقسم هي الأخرى إلى ثلاثة أقسام: شفاعة مشروعة وشفاعة محرمة وشفاعة شركية.. ويصح أن ندخل الشفاعة الشركية في المحرمة لكن نحن قسمنا هذا التقسيم الثلاثي حتى تتميز الشركية وإلا فكل شرك فهو محرم.. يعني من الممكن أن تقول شفاعة شرعية مشروعة وشفاعة ممنوعة والممنوعة منقسمة إلى محرمة وشركية.. فالشفاعة المشروعة هي أن يشفع الإنسان لغيره في أمر من أمور الخير **(من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها)** كأن تشفع لأخيك المسلم في أمر فيه خير وفيه مصلحة، والشفاعة في الدنيا تكون بالواسطة وقد تكون بطلب الدعاء من الآخرين ، ولا بد له من ثلاثة شروط: أن يكون هذا الشخص الذي تطلب منه الدعاء حيا حاضرا قادرا وإذا شئت أن تضيف إليه صالحا لأنك لن تطلب الشفاعة من شخص فاسق.. حيا حاضرا قادرا ويكون ممن تطلب منه الشفاعة، هذه شروط صحة الشفاعة من الحي باختصار ويندرج تحتها مسألة طلب الشفاعة من الميت وهذه ستأتي في القسم الثالث الذي هو الشفاعة الشركية، إذا هذا النوع الأول الشفاعة المشروعة، شفاعة في أمر من أمور الخير والمصلحة وإذا كانت بدعاء فلا بد فيها من هذه الشروط الثلاثة أو الأربعة.

النوع الثاني: الشفاعة المحرمة وهي أن تشفع في أمر محرم كأن تشفع مثلا في إبطال حد من حدود الله سبحانه وتعالى، يعني كمن ارتكب جريمة ويستحق أن يقام عليه الحد فتذهب للحاكم أو القاضي تشفع عنده، تتوسط عنده، تقول له اترك فلانا ونعطيك كذا أو كذا أو اترك فلانا لأنه عنده عذر أو نحو ذلك، هذه شفاعة محرمة، الشفاعة في حد من حدود الله سبحانه وتعالى وقال تعالى **(ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها)**.

النوع الثالث: الشفاعة الشركية: وهي التي فقدت شرطا من شروط الشفاعة الشرعية السابقة ويدخل في ذلك الاستشفاع بالأموات، أن تذهب إلى ميت كالبدوي مثلا أو المرسي أو الجيلاني تقول له يا بدوي اشفع لي عند ربك فهذا من الشرك الأكبر، وستأتي نقول عن أهل العلم في أن هذا من الشرك الأكبر لأن هذه المسألة حصل فيه خلل من بعض من كتب فيها من المعاصرين..

قوله ( لا يستشفع بالله على خلقه ).. يعني يحرم على المسلم أن يستشفع بالله على أحد من خلقه.. يعني يحرم على المسلم أن يجعل الرب جل وعلا شفيعا عند أحد من خلقه لأن الله جل وعلا لا يحتاج إلى شفاعة.. **(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)** فإذا أردت أنت شيئا من فلان أو من فلان فلا تشفع رب العالمين عنده لأن هذا فيه هضم للربوبية لأن الملك كله لله، الملك ملكه والأمر أمره، فكيف تطلب منه أن يشفع لك عند من هو يملكه جل وعلا إذا هذا فيه هضم للربوبية وقدح في توحيد العبد وتنقيص للرب سبحانه وتعالى.. فصورة المسألة أن يأتي واحد يشفع رب العالمين عند فلان . اشفع لي عند فلان من الناس.. يا رب اشفع لي عند فلان ليوظفني أو يزوجني أو غير ذلك فأنت تشفع رب العالمين الذي بيده ملك كل شيء وله الأمر والملك وله الخلق والأمر تشفعه عند أحد من خلقه عند الأدنى فهذا قدح في توحيد العبد وقدح في الربوبية لأن الله جل وعلا إذا أراد شيئا لا يحتاج أن يشفع عند غيره من خلقه وإنما يقول كن فيكون.. فله الملك كله وله الخلق كله وله التصرف في الملكوت كله.

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأنا من أن يتوسل به إلى خلقه.. يعني أعظم شأنا من أن تجعله واسطة عند أحد من الخلق.. لأن رتبة المتوسل به غالبا دون رتبة المتوسل إليه.. يعني أنت دائما تتوسل إلى من هو أعلى درجة.. لأن رتبة المتوسل به غالبا دون رتبة يعني أقل دائما الواسطة تكون أقل من المتوسل إليه.. يعني عندما تذهب للأمير يذهب معك وزير كواسطة فدائما المتوسل إليه الذي تشفع عنده أعلى في غالب الأحايين، وذلك من سوء الأدب مع الله فيتعين تركه. فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه فالله جل وعلا هو الذي يملك الشفاعة **(قل لله الشفاعة جميعا)** الشفاعة هو الذي يملكها وهو الذي يأذن بها لمن شاء.. كما سبق في حديث الشفاعة في الصحيحين.. وكلهم يخافونه جل وعلا فكيف يعكس الأمر فيجعل الرب هو الشافع وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها جل وعلا.. خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات فكيف تجعله وسيلة يشفع لك عند الأدنى عند المخلوق العبد الفقير كائنا ما كان حتى لو كان نبيا أو كان رسولا.

ذكر المؤلف حديثا في هذه الترجمة.. حديث جبير بن مطعم « **عن جبير بن مطعم رضي الله عنه** » وهو جبير بن مطعم بن عدي القرشي أسلم قبل الفتح ومات سنة سبع وخمسين.. « **قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس** » المؤلف قال رواه أبو داود لكن الرواية التي أتى بها هنا فيها اختلاف في الألفاظ فأنا أذكر الألفاظ التي ذكرها أبو داود في سننه قال المؤلف«**نهكت الأنفس**» وفي سنن أبي داود «**جهدت الأنفس**» يعني ضعفت وقال المؤلف «**وجاع العيال**» وفي سنن أبي داود وقال المؤلف «**ضاع العيال**».. « **وهلكت الأموال** » عند أبي داود: «**نهكت الأموال وهلكت الأنعام**» يعني المؤلف رواه بالمعنى، وعند غير أبي داود أيضا هذه الرواية التي يرويها المؤلف لكن أنا ذكرتها لأنه عزاها لأبي داود «**فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله** » بك على الله: هذه لا إشكال فيها.. تستشفع بأحد الصالحين أو بأحد الأنبياء.. لا إشكال في

ذلك.. ليدعو لك لكن الإشكال في قوله « **نستشفع بالله عليك** » هنا الإشكال «**فقال النبي ﷺ: «سبحان الله ! سبحان الله !» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه** » وسيأتي الكلام على ألفاظ الحديث وفوائده بعد الكلام على تخريجه «**ثم قال: «ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد» وذكر الحديث، رواه أبو داود** » رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجهمية والمعتزلة، لأن أبا داود كان سلفيا على مذهب السلف الصالح، عقد في كتابه السنن كتاب السنة وعقد فيه ردا على الجهمية والمعتزلة برقم٤٧٢٦.. هكذا ورد الحديث هنا.. وهذا الحديث في تثبيته خلاف بين أهل العلم، لأننا مشينا على قاعدة ثبت العرش أولا ثم انقش.. فهذا الحديث باختصار قبل أن نتكلم عليه بعض أهل العلم يضعفه وأيضا عدد من أهل العلم يمشونه يحسنونه أو يصححونه، ننظر في إسناد أبي داود الوارد في سننه، قال أبو داود: حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى وابن بشار وأحمد بن سعيد الرباطي، وكل هؤلاء الأربعة ثقات كبار أعلام.. قالوا: حدثنا وهب بن جرير وهو أبو العباس، ثقة، قال حدثنا أبي.. والده جرير بن حازم ثقة لكن له أوهام إذا حدث من حفظه، قال: سمعت محمد بن إسحاق.. سيأتي الكلام عليه.. إمام المغازي، يحدث عن يعقوب بن عتبة، ويعقوب ثقة من أهل العلم، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم.. عن جبير: الإشكال هنا أيضا في جبير عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه.. يعني جبير بن محمد يروي عن محمد بن جبير عن جده جبير بن مطعم، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس.. إلى آخره.. زاد أبو داود في آخره: إن عرشه على سماواته هكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه.. يعني العرش مثل القبة فوق السماوات . وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.. من عظمة الرب جل وعلا عليه.. قال ابن بشار في حديثه: إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته. قال عبد الأعلى راوي الحديث: وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد، هنا الإشكال يعني هنا الآن يقول عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده، وفي الحديث السابق يعقوب يرويه عن جبير بن محمد ،

هنا عطف، قال: عن يعقوب وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده، قال أبو داود: والحديث بإسناد أحمد بن سعيد الرباطي وهو الحديث بالمتن الأول هو الصحيح.. يعني يعقوب يروي عن جبير بن محمد، هو الصحيح يعني لا يفهم من هذه الكلمة تصحيح أبي داود للإسناد ولكن يصحح الطريق، يعني أن هذا هو المعتمد لا اللفظ الثاني، يعني المعتمد عن أبي داود يعقوب عن جبير وليس يعقوب وجبير، هذا هو الصحيح، لأن بعض المحققين فهم من كلمة الصحيح يعني أن هذا تصحيح من أبي داود للإسناد، وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة عن ابن إسحاق.. يقول الذهبي: ما وجدته أبدا. يعني لم يقف على أحد رواه عن ابن إسحاق كما قال هنا.. وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني.. لأن هؤلاء الثلاثة رووا الحديث بحرف العطف (و).. فأبو داود يقول أنهم الثلاثة سمعوا من نسخة واحدة فلذلك أتوا بلفظ واحد.. وهذا الحديث اهتموا به لأنه فيه مسألة عقدية وهي مسألة علو الله جل وعلا على عرشه، يعني الذين تكلموا في هذا الحديث وأطالوا الكلام عليه ودافعوا عنه كما سيأتي من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والأئمة الذين أخرجوه في كتبهم بأسانيدهم اعتنوا بهذا الحديث من أجل إثباته لعلو الله جل وعلا على عرشه وبيان أن عرشه فوق سماواته، وفي ذلك رد على طواف كثيرة من الحلولية والاتحادية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغير هؤلاء، لذلك هذا الحديث تكاد كتب العقائد التي ألفت في العقائد بالأسانيد لا يكاد يخلو منه كتاب ، فممن خرج هذا الحديث من الأئمة الذين كتبوا في الاعتقاد الإمام الكبير عثمان بن سعيد الدارمي في كتابيه المشهورين : كتاب نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد وكتابه الآخر الرد على الجهمية ، وممن خرجه أيضا ابن خزيمة في كتاب التوحيد وأيضا الآجري في الشريعة وابن أبي عاصم في السنة وابن أبي شيبة في كتاب العرش وما روي فيه والذهبي ذكره في كتابه العلو للعلي الغفار وقبل ذلك اللالكائي في اعتقاده والدارقطني ذكره في كتاب الصفات وكذلك كتاب أبي الشيخ المعروف بالعظمة.

وهذا الحديث فيه علتان: العلة الأولى: محمد بن إسحاق، صاحب المغازي ، له اهتمام بالمغازي وأسانيدها والكلام فيها لكن اختلف أهل الجرح والتعديل في توثيقه وتجريحه، قال الذهبي رحمه الله تعالى عنه: الإمام يعني يسمى الإمام في المغازي كان صدوقا من بحور العلم وله غرائب في سعة ما روى تستنكر.. واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وقد صححه جماعة.. أي حديث ابن إسحاق لكن يصححون حديثه إذا صرح بالتحديث وهنا يقول الراوي عنه : سمعت ابن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة ( يحدث) لم يقل ابن إسحاق حدثني يعقوب وإنما يحدث فمن الممكن أن يحدث بالعنعنة أو بأي طريقة أخرى من طرق الأداء.. وقد صححه جماعة.. يعني صحح حديثه جماعة.. انتهى كلام الذهبي.. وقال شعبة عن ابن إسحاق: أمير المؤمنين في الحديث وقال مرة صدوق في الحديث..

ويحيى بن معين له عدة أقوال منها أنه ثقة في الحديث.. ومنها أنه سقيم الحديث، سقيم ليس بالقوي، ومنها أنه ثقة وليس بحجة ومنها أنه لم يزل الناس يتقون حديثه، هذا الإشكال الأول في ابن إسحاق .

الإشكال الثاني في جبير بن محمد وجبير بن محمد لم يوثقه إلا ابن حبان، فقد ذكره في كتابه الثقات، والحافظ ابن حجر يشير له بمرتبة مقبول، والمقبول عند الحافظ يعني لين الحديث إلا إذا توبع ، من يقرأ في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر لا بد أن يعرف مصطلح الحافظ في مقدمته فالذي معنا الآن جبير بن محمد لم يوثقه سوى ابن حبان وقال الحافظ مقبول يعني إذا توبع، وإلا فهو لين، وفي الحقيقة لم نجد أحدا تابع جبيرا في هذا، يعني أكثر من أربعين مصدر تقريبا رجعت إليها لم أجد أحد تابع جبيرا في هذا الحديث، كلها من طريق ابن إسحاق عن يعقوب عن جبير، فهذا محل الإشكال.

من صحح هذا الحديث كيف يصححه؟ يصححه بالرواية أو بالإسناد الآخر الذي لم يقل فيه عن جبير ولكن قال يعقوب بن عتبة وجبير إذا يعقوب وجبير يرويان عن محمد بن جبير ومحمد بن جبير ثقة، وسيأتي كلام ابن القيم وتوثيقه للحديث، وكلام شيخ الإسلام وتصحيحهما لهذا الحديث مع ما

ذكرناه من العلتين، فمن مشى هذا الحديث من جهة ابن إسحاق اعتمد توثيق الأئمة الكبار الذين ذكرتهم في ابن إسحاق وقال عنه ابن المديني لم أجد له إلا حديثين منكرين، يعني في سعة ما روى هذا الإمام لم يقف له ابن المديني إلا على حديثين فيهما نكارة، فهذا توثيق من هذا الإمام الكبير إمام الجرح والتعديل، ومن جهة ضعف جبير بن محمد فإنهم يأخذون بالإسناد الآخر الذي فيه يعقوب بن عتبة وجبير، وهذا الإسناد الآخر الذي ذكره عدد من أهل العلم ومنهم أبو داود قال عنه الدارقطني: من قال يعقوب بن عتبة وجبير فقد وهم، يعني من عطف جبيرا على يعقوب فقد وهم.. وقال الذهبي: والأول أصح.. الأول الذي هو يعقوب عن جبير، وقال المزي بعد أن روى هذا الحديث في كتابه تهذيب الكمال: والصحيح عن يعقوب بن عتبة عن جبير.

وقد صحح هذا الحديث عدد من أهل العلم منهم الخطابي حيث ثبته وبدأ يسعى لتأويله كعادته وكذلك ابن حزم ذكره كما قال شيخ الإسلام في كتابه الفصل وشيخ الإسلام يقول عن ابن حزم إنه لا يقلد أحدا في التصحيح وإنما ذكره واستدل به كما سيأتي كلامه وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سيأتي كلامه في كتابه الكبير بيان تلبيس الجهمية وكذلك ابن القيم في كتابه تهذيب السنن، وهي حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، وقد انتصر له ابن القيم انتصارا كبيرا، ورواه الإمام ابن منده في كتاب التوحيد له قال: إسناده صحيح متصل على رسم أبي عيسى والنسائي.. يعني على شرط الترمذي والنسائي.. وكذلك الإمام أبو نصر السجزي في كتابه الرد على من أنكر الحرف والصوت قال: والطرق مقبولة محفوظة.. وكذلك ابن خزيمة في كتاب التوحيد وكذلك ابن الزاغوني أبو الحسن ألف رسالة في تصحيحه ذكرها ابن رجب في كتابه ذيل طبقات الحنابلة .

هؤلاء الذين مشوا الحديث وقالوا به وقد يلحق بهم كل من خرج الحديث ممن كتب في العقيدة إذا أتى بهذا الحديث في أبواب الاعتقاد وأتى به محتجا به فقد يقال بتصحيحه له وإن لم يجزم بذلك أو يتلفظ بذلك.

وكما قلت بيت القصيد في الحديث أن فيه إثبات علو الله جل وعلا على عرشه والذي يكذب به الجهمية ويؤوله الأشاعرة والماتريدية ومن مشى في دربهم.

يقول ابن القيم في نونيته حول هذا الحديث رقم البيت١٧١٦:

واذكر حديثا لابن إسحاق الرضى ذاك الصدوق الحافظ الربان
في قصة استسقائهم يستشفعون إلـــى الرســـول بربـــه المنـــــان
فاستعظم المختار ذاك وقـال شأن الله رب العرش أعظم شان
الله فوق العرش فوق سمائـــــه ســـبحان ذي الملكـــوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل مـــا قد أط رحل الراكب العجلان
لله ما لقي ابن إسحاق من الجهمي إذ يرميـــه بالعـــــدوان

يعني الجهمية من أجل هذا الحديث شنوا حربا على محمد بن إسحاق لأنه روى هذا الحديث..

ويظل يمدحه إذا كان الذي يروي يوافق مذهب الطعان

يعني إذا روى ما يؤيد مذهبه..

كم قد رأينـــا منهم أمثـــال ذا فالحكم لله العظيم الشـــان
هذا هو التطفيف لا التطفيف في ذرع ولا كيل ولا ميـــزان

يعني إذا كان هو يروي ما يؤيد مذهب هؤلاء الجهمية مدحوه وإذا كان يروي ما يناقض مذهبهم طعنوا فيه.. هذا كلام ابن القيم في الكافية الشافية .

وقد تكلم الإمام ابن القيم على هذا الحديث في تهذيب السنن وتكلم عليه أيضا في الصواعق لكن هنا كلامه فيه نفس طويل مختصره يقول ابن القيم بعدما ذكر هذا الحديث وذكر تعليل المنذري له قال أهل الإثبات الذين يثبتون الحديث ويثبتون كذلك الصفات ليس في شيء من هذا مستراح لكم في رد الحديث.. يعني ليس في كل ما ذكروه من هذه العلل التي ذكرتها لكم في الكلام على ابن إسحاق وفي جهالة جبير بن محمد ليس فيه دليل، يقول أما حملكم على ابن إسحاق فجوابه أن ابن إسحاق في الموضع الذي جعله الله من العلم والأمانة، قال ابن المديني: حديثه عندي صحيح.. وقال شعبة: أمير المؤمنين في الحديث.. وقال أيضا: صدوق.. وقال ابن المديني أيضا: لم أجد له سوى حديثين منكرين، وهذا في غاية الثناء والمدح، ثم قال: وقال علي أيضا سمعت ابن عيينة يقول: ما سمعت أحدا يتكلم في ابن إسحاق إلا في قوله في القدر ولا ريب أن أهل عصره أعلم به ممن تكلم فيه بعدهم.. وقال الزهري: لا يزال بهذه الحرة يعني في المدينة علم ما دام بها ذلك الأحول، يريد ابن إسحاق، وقال يعقوب بن شيبة: سألت يحيى بن معين كيف ابن إسحاق؟ قال: ليس بذاك.. قلت: ففي نفسي من حديثه شيء؟ قال: لا كان صدوقا.. وقال شعبة: لو كان لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين.. وقال ابن عدي: فتشت أحاديث ابن إسحاق الكبير فلم أجد في حديثه ما يتهيأ أن نقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أو وهم كما يخطئ غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به.. إلى آخر ذلك.. ثم تكلم ورد على من اتهمه من السابقين بكلام طويل.. ثم قال: فصل وأما قولكم بأنه لم يصرح بسماعه من يعقوب بن عتبة أما قولكم بأنه لم يصرح بسماعه من يعقوب فعلى تقدير العلم بهذا النفي.. يعني لو فرضنا فعلا أنه لم يصرح بهذا ولم يسمع منه لا يخرج الحديث عن كونه حسنا.. لماذا؟ يقول فإنه قد لقي يعقوب وسمع منه.. يعني يعقوب من شيوخه.. وفي الصحيح قطعة من الاحتجاج بعنعنة المدلس كأبي الزبير عن جابر وسفيان عن عمرو بن دينار ونظائر ذلك كثيرة.. وأما قولكم تفرد به يعقوب بن عتبة ولم يرو عنه أحد من أصحاب الصحيح فهذا ليس بعلة باتفاق المحدثين فإن يعقوب لم يضعفه أحد وكم من

ثقة قد احتجوا به وهو غير مخرج في الصحيحين.. يعني هناك أئمة كبار وهم ليسوا في الصحيحين.. وهذا هو الجواب عن تفرد محمد بن جبير أنه ثقة.. هذا لا إشكال فيه.. أما قولكم أن ابن إسحاق اضطرب فيه إلى آخره فقد اتفق ثلاثة من الحفاظ وهم عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار على وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحاق أنه حدث به عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد، يعني هؤلاء الثلاثة رووا هذا الحديث عن يعقوب وجبير.. عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد، وخالفهم أحمد بن سعيد وفي النسخة الدمياطي وهو غلط والصحيح الرباطي.. فقال عن وهب بن جرير عن أبيه جرير بن حاتم، سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة فإما أن يكون الثلاثة أولى، يعني إما أن نرجح رواية الثلاثة ابن المثنى وعبد الأعلى وابن بشار وإما أن يكون يعقوب بن عتبة رواه عن جبير بن محمد فسمعه منه ابن إسحاق ثم سمعه من جبير، يعني إما أن يكون ابن إسحاق نفسه يرويه مرة عن جبير مباشرة أو يرويه بواسطة يعقوب بن عتبة، فحدث به على الوجهين، وقد قيل إن الواو غلط، وهذا كلام الدارقطني كما سبق ، كلام الدارقطني أن الواو وهم وتابعه على ذلك الذهبي والمزي . وأن الصواب عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد عن أبيه.. هذا كلام ابن القيم في الجزء السابع من مختصر تهذيب السنن.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم بيان تلبيس الجهمية في رده على الرازي : ( وهذا الحديث قد يطعن فيه بعض المشتغلين بالحديث انتصارا للجهمية وإن كان لا يفقه حقيقة قولهم وما فيه من التعطيل أو استبشاعا لما ذكر فيه من ذكر الأطيط كما فعل أبو القاسم المؤرخ ويحتجون أنه تفرد به محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن جبير ، ثم يقول بعضهم ولم يقل ابن إسحاق حدثني فيحتمل أن يكون منقطعا ، وبعضهم يتعلل بكلام بعضهم في ابن إسحاق مع أن هذا الحديث وأمثاله وفيما يشبهه في اللفظ

والمعنى لم يزل متداولا بين أهل العلم خالفا عن سالف ) يعني شيخ الإسلام يحتج بالقاعدة العامة وتخريج أئمة السنة له، هذا الحديث لم يزل سلف هذه الأئمة وأئمتها يروون ذلك ، قال ( ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدق به راد به على من خالفه من الجهمية متلقين لذلك بالقبول، حتى قد رواه الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بأحاديث الثقات المتصلة الإسناد ) يعني اشترط الإمام ابن خزيمة هذا في صحيحه لكن وجد في صحيحه أحاديث فيها ضعف وتكلم عليها النقاد، يقول شيخ الإسلام: ( رواه ابن خزيمة في كتابه في التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بأحاديث الثقات المتصلة الإسناد رواه عن غندر الذي هو محمد بن بشار كما رواه الدارمي وأبو داود سواء، وكذلك رواه عن أبي موسى وهو محمد بن المثنى بهذا الإسناد مثله سواء فقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب يعني ابن جرير قال حدثنا أبي الذي هو جرير بن حازم سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وعن جبير بن محمد بن جبير ) فهنا شيخ الإسلام يستدل بالرواية التي فيها العطف وقد رواها ثلاثة من الأئمة، يحدث عن يعقوب بن عتبة وعن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، إذا فكون يعقوب تابع جبيرا أو العكس فهذا مما يثبت الحديث ولا يؤثر في جهالة جبيرعن أبيه عن جده.. ثم ذكر الحديث ثم قال شيخ الإسلام: ( وممن احتج به الحافظ أبو محمد بن حزم في مسألة الاستدارة وكلام ابن حزم في كتابه الفصل مع أن أبا محمد هذا من أعلم الناس لا يقلد غيره ولا يحتج إلا بما ثبت عنده صحته وهؤلاء يحتجون في معارضة ذلك من الحديث بما هو أوهى عند أهله من الرأي السخيف ) يعني يحتجون أحيانا بأشياء وموضوعات وعلل ينفون بها الأحاديث ويثبتون بها اعتقاداتهم يقول: يحتجون في معارضة ذلك من الحديث بما أوهى عند أهله من الرأي السخيف الفاسد الذي يحتج به قياسُو الجهمية، يعني الذين يقيسون من الجهمية، ثم يقول بعد كلام: وروى أيضا عثمان بن سعيد الدارمي، يذكر شاهدا آخر على الحديث لكن ليس فيه مسألة الاستشفاع التي معنا..

وقد روى الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد هذا الحديث قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا وهب يعني ابن جرير قال حدثني أبي قال سمعت ابن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد بن مطعم ثم ذكر الحديث.. قال ابن إسحاق: قرئ على أبي موسى، وأبو موسى هو محمد بن المثنى، وأنا أسمع، أن وهبا حدثهم بهذا الإسناد مثله سواء .

وقد تكلم عليه البيهقي كذلك بكلام طويل وأيضا الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار استغرب فيه الحديث لكن قال بعده كلاما جيدا، قال أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد الرباطي عن وهب ولفظه إن عرشه على سماواته ثم قال الذهبي رحمه الله تعالى: وقرأت على أبي الحسين ذكر إسنادا آخر يعني نفس الإسناد هذا بإسناد الذهبي ورواه أبو داود عن عبد الأعلى وغندر وابن المثنى وعندهم ابن إسحاق عن يعقوب وجبير، ابن إسحاق يرويه عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد، يقول الذهبي والأول أصح والذي هو عن جبير.. قال الدارقطني: من قال يعقوب بن عتبة وجبير فقد وهم.. فالذهبي يقول يُتأمل قول أبي داود إنه رواه جماعة عن ابن إسحاق، فما وجدته أبدا.. يعني الذهبي تعب في البحث عن أحد رواه عن ابن إسحاق.. جماعة كما قال أبو داود ؟ يقول الذهبي: فما وجدته أبدا يعني لا يعرف إلا من رواية جرير إلا من حديث وهب عن أبيه عنه وهب بن جرير عن أبيه.. يعني جرير بن حازم، وكذلك ساقه الذين جمعوا أحاديث الصفات كابن خزيمة والطبراني وابن منده والدارقطني وعدة ، في نسخ مكتوب : وعبده.. فتصحح.. قال الذهبي بعدما انتهى من ذكر الحديث: هذا الحديث غريب جدا فرد.. وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير وعجائب فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا.. والله ليس كمثله شيء.. والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الواقع في الرحل، فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعده صفة لله ، ثم إن لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت، يعني أتى بأحاديث أخرى في لفظ الأطيط، ثم يقول: وقولنا في هذه الأحاديث أننا نؤمن بما صح منها وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره فأما ما في إسناده مقال أو اختلف العلماء في قبوله وتأويله فإننا لا نتعرض له بتقرير بل نرويه في الجملة ونبين

حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه : لما فيه مما تواتر من علو الله فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب وهذه المسألة لا بد أن ينتبه لها طالب العلم الذي يشتغل بالتخريج والتحقيق فلا يكون همه فقط الهجوم على الإسناد ومجرد الكلام على الرجال لما درس في علم المصطلح وقواعد وقوانين المصطلح بل ينظر في مسلك أهل العلم نحو هذه المتون وهذه الأحاديث هل تمشي مع قواعد الشريعة العامة وهل أهل العلم أتوا بها لأن لها ما يؤيدها من القواعد العامة ومما تواتر في الكتاب والسنة وقد تقرر أن العلو له أكثر من ألف دليل.. فأهل العلم الذين صححوا هذا الحديث إنما صححوه وأتوا به ومشوا إسناده لأن له قواعد ثابتة من الأدلة من الكتاب والسنة والتي فيها علو الله جل وعلا على عرشه وأنه فوق عرشه فوق سماواته سبحانه وتعالى.. فطالب العلم ينبغي أن ينتبه لذلك .

وقد وجدت له شاهدا في كتاب العظمة لأبي الشيخ برقم٢٥٣: قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مصعب قال حدثنا عبد الجبار بن العلاء قال حدثنا مروان بن معاوية عن محمد بن أبي ذئب المدني عن عبد الله بن محمد بن عمرو بن حافظ الجمحي عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السلمي ( ولعل الصواب السعدي ) قال: لما قفل يعني لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أتاه وفد من بني فزارة فقالوا: يا رسول الله ادع ربك أن يغنينا.. وقد يكون في بعض النسخ: يغيثنا.. واشفع لنا إلى ربك وليشفع ربك إليك.. هذا هو محل الشاهد.. وليشفع ربك إليك.. فقال رسول الله ﷺ: «ويلك هذا أنا لو شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا الله العظيم وسع كرسيه السماوات والأرض وهي تئط من عظمته وجلاله –يعني السماوات- كما يئط الرحل الجديد » لكن هذا الإسناد فيه مجهولان: فيه عبد الله بن محمد الجمحي وفيه محمد بن عبد الله بن مصعب .

والمقصود أن مسألة الاستشفاع مسألة كبيرة وقد حصل فيها الخلط وحصل فيها الابتلاء منذ القديم والاستشفاع معناه طلب الشفاعة، قال الأولون المشركون في عبادتهم عن آلهتهم **(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)**

فكانوا يعبدونهم ليشفعوا لهم، يتقربون لهم بأنواع العبادات ليشفعوا لهم، وحصل الخلط عند كثير من الناس في الفرق بين مسألة التوسل والاستشفاع، التوسل أن تقول يا الله أسألك بكذا وكذا.. هناك توسل ممنوع وهناك توسل مشروع فمن الأشياء المحرمة أن تقول أتوسل إليك بفلان، بجاه فلان، بحرمة فلان، بجاه نبيك بحرمة نبيك، بحق فلان، هذا هو التوسل، والاستشفاع طلب الشفاعة، وهذه هي التي كثر فيها الابتلاء في العصور المتأخرة وحصل فيها الخلط، طلب الشفاعة، صورتها أن تذهب إلى ميت تطلب منه أن يشفع لك عند الله سبحانه وتعالى، والصورة التي لا تجوز أن تذهب إلى ميت من الأموات سواء كان صالحا أو وليا أو نبيا وتقول يا فلان اشفع لي عند ربك، يا فلان سل لي ربك بكذا وكذا وسيأتي كلام أهل العلم في أن الاستشفاع وهي طلب الشفاعة من الميت تعد من الشرك الأكبر ومن دين المشركين وليس من الشرك الأصغر .

فهذه المسألة مهمة وهي واقعة حتى هذه اللحظة التي نحن فيها فلا يزال بعض المسلمين يذهب إلى الميت يقول له يا فلان اشفع لي عند ربك.. فهذا طلب ودعاء، طلب من الأموات، ودعاء.. خطاب في صورة طلب وخطاب في صورة دعاء، والدعاء من العبادة كما صح في الحديث «**إن الدعاء هو العبادة**» فبعض المعاصرين يقول بأن هذا شرك أصغر وأن هذا توسل بدعي فقط، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كما سنذكره إن شاء الله سبحانه وتعالى أن هذا من الشرك الأكبر وكذلك أئمة الدعوة كما سيأتي إن شاء الله جل وعلا في آخر الدرس، ومسألة أخرى في الصورة التي معنا في الباب، الاستشفاع بالله عند أحد من خلقه.. تستشفع بالله جل وعلا عند أحد من خلقه هذه التي كنا نتكلم فيها والتي فيها الحديث والتي إن شاء الله فيها بقية الكلام كما ذكرنا كما جاء في الحديث «**إنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله**» نستشفع بالله عليك: يعني يريد أن يكون الله جل وعلا واسطة عند مخلوق ، يريد أن يجعل الرب جل وعلا واسطة عند مخلوق هذه صورة المسألة وهذه التي أنكرها النبي الكريم ﷺ على الأعرابي فقال: « **ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك** » ..

وقد كثر عند بعض الناس قولهم : واسطتي الله سبحانه وتعالى فهذا القول من هذا الشخص إذا كان يقصد به فعلا يعي ما يقول وأنه يجعل الله جل وعلا واسطة فهذا يدخل فيما ذكرناه في المنع والتحريم، لأن هذا فيه تنقص لمقام الربوبية، إذ يجعل الكبير المتعال جل في علاه واسطة عند عبده الفقير المخلوق المسكين الذي لا يملك لنفسه شيئا، وإذا كان هذا الشخص الذي يقول واسطتي الله جل وعلا لا يقصد حقيقتها، يعني بعض الناس أظن يقولها من باب أنه يريد أن يقول ليس لي واسطة، يعني ما أتيت بواسطة وليس في ذهنه أن يوسط الرب جل وعلا عند المسؤول لأنه لو كان يريد ذلك لقالها ابتداء، مثلا أتيت لك لتنهي هذه المسألة أو المشكلة وواسطتي الله جل وعلا، لو كان قال هذا فهي نفس الصورة التي معنا في الحديث، فبعض الناس قد يقولها ولا يدري معناها بل قد يقولها بمعنى أنه ليس معه أحد يتوسط له في هذه المسألة التي يريد أن يقضيها أو المصلحة التي يريد أن يقضيها، فهي على الاحتمالين، إذا كان يقصد أنه جعل الله جل وعلا واسطة لهذا الموظف المخلوق فقد دخل في النوع المحرم الذي لا يجوز والذي هو محل البحث والكلام فيه وإلا فلا ، وهذه الصورة موجودة .

قوله : **باب لا يستشفع بالله على خلقه.. « عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس »** وفي رواية أبي داود «**جهدت الأنفس**» يعني ضعفت « **وجاع العيال** » وعند أبي داود «**ضاع العيال**».. « **وهلكت الأموال** » وفي رواية أبي داود «**نهكت الأموال وهلكت الأنعام**» وهذا لتأخر المطر ولقلة الأمطار، وتأخر المطر يؤدي إلى قلة الخصب والنماء والزروع والسقيا، وتأخر الأمطار عن البلاد التي تحتاج إلى الأمطار زروعها وبهائمها وأهلها في الغالب يكون من كثرة الذنوب والمعاصي، قال تعالى **(وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)** الطريقة: جمهور أهل العلم على أن المقصود بالطريقة هنا يعني الإسلام أو الإيمان بما أنزل إليهم، وبعض المفسرين كأبي مجلز يرى أن المقصود بالطريقة الضلالة، لكن الجمهور على أن المقصود بالطريقة الإسلام والوحي الذي أنزل إلى كل قوم **(لأسقيناهم ماء غدقا)** يعني

ماء كثيرا.. لماذا؟ **(لنفتنهم فيه)** يعني للابتلاء، فربنا جل وعلا يبتلي العباد بالسراء والضراء بالكثرة والقلة بالخير والشر، كما قال الله جل وعلا **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا)** فإذا تأخرت الأمطار فإن ذلك يكون غالبا بسبب الذنوب والمعاصي، وروى مسلم في صحيحه أن رجلا كان في مزرعته وسمع من السحابة قائلا يقول: اسق حديقة فلان فتعجب فوجد السحابة التي فيها الماء ممتلئة بالماء تتحرك تترك ذاك المكان والذي يليه وهكذا ثم تصب ماءها في حديقة شخص معين، فتعجب هذا الشخص وذهب إلى صاحب الحديقة فسأله عما يصنع وأخبره بما سمع في السحابة، فقال له هذا الرجل صاحب الحديقة: إنه لا يصنع شيئا سوى أنه يقسم ما يخرج من الأرض أثلاثا، ثلث يرده في أرضه وثلث يوزعه على الفقراء والمساكين وثلث لأهل بيته، فهذه من آيات الله العظيمة، السحابة المليئة بالمياه تترك عدة أراض ثم تذهب إلى أرض شخص معين يتقي الله في نفسه وفي ماله وفي زرعه ويخرج حق الله جل وعلا بل يزيد عليه فيسوق الرب جل وعلا له الأمطار في السحابة سوقا وهذا فيه عبرة للإنسان وآية لأن يتعلق بالله جل وعلا في رزقه وفي طلبه وفي دعائه ويقطع طمعه في الخلق وأن الأمور بيد الرب جل وعلا المتصرف فيها **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا)** فهذا الرجل صاحب الحديقة الظاهر من عمله أنه اتقى الله جل وعلا في إخراج الحق الواجب في حديقته، فعرفنا السبب في تأخر الأمطار أو عدم نزولها.

قوله ( فقال له الأعرابي: فاستسق لنا ربك ).. يطلب السقيا.. يطلب من النبي ﷺ أن يطلب من ربه أن يسقيهم، وطلب السقيا من سنن الأنبياء، قال تعالى في سورة البقرة **(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)** وفي الأعراف **(فانبجست)** والانبجاس هو أول الانفجار.. وهذا من منة الله جل وعلا على بني إسرائيل التي لم يحفظوها أنهم كانوا إذا أرادوا السقيا والمطر أخرج موسى عصاه فضرب بها

الحجر، ما هذا الحجر؟ قيل أنه أي حجر.. يضرب أي حجر.. وقيل بأنه كان يحمل معه حجرا مخصوصا يتنقل معهم وكان معهم في التيه، فإما أن يكون هذا الحجر أي حجر يضربه وإما أن يكون حجرا مخصوصا، وذكروا له أوصافا، وهذه من منة الله على بني إسرائيل ونعمته أن يسر لهم السقيا ورزقهم بالمن والسلوى، ماذا يريدون بعد ذلك؟ يستسقون فيسقون وعندهم المن والسلوى، ويخرج من هذا الحجر اثنتا عشرة عينا.. لكل سبط من أسباط بني إسرائيل عين يشربون منها ذلك من آيات الله، ومع ذلك فإن هؤلاء لم يحفظوها، بل عبدوا العجل وقتلوا الأنبياء إلى غير ذلك من جرائمهم الكثيرة.

وأيضا جاء أن سليمان عليه السلام خرج يستسقي لقومه لمن معه، في حديث رواه الحاكم وأحمد والطبراني والدارقطني عن أبي هريرة وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء وحسنه غيره ، في هذا الحديث أن سليمان عليه السلام خرج يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء، وهذا ليس ببعيد لأنه مر بنا في سورة النمل ما قالته النملة لصواحباتها وتبسم سليمان عليه السلام وهذا فيه فوائد بيانية ولغوية عظيمة ذكرها المفسرون في قولها **(ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)** فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء، تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك.. فهذه نملة تستسقي رافعة قوائمها إلى السماء يعني تدعو.. يعني حتى النمل يعلم أن الله جل وعلا في السماء، وهذا فيه فائدة جميلة أشار إليها الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى في تعليقه على البلوغ فقال هذا فيه إشارة للرد على الأشاعرة والماتريدية والجهمية الذين ينكرون علو الله جل وعلا على خلقه، إشارة للرد على كل هؤلاء سواء الأشعرية أو الجهمية بكافة أصنافها وفرقها الذين ينكرون العلو، نملة رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم، فالمقصود من هذا أن الاستسقاء سنة عن الأنبياء.

وقد جاء في الصحيحين أن النبي الكريم ﷺ استسقى في عدة مواضع، منها ما رواه أنس رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة.. يعني

جدبا على عهد رسول الله ﷺ.. فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا.. فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة.. والقزعة يعني القطعة من السحاب، فوالذي نفسي بيده ما وضعها.. يعني رفع النبي ﷺ يديه يدعو.. وكان في الاستسقاء يبالغ في رفع اليدين حتى يرى بياض إبطيه، حتى جاء في بعض الروايات أنه من شدة الرفع تكون الأكف جهة السماء.. ظهور الأكف جهة السماء وباطن اليد تكون للأرض قال: فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال.. يعني وهو واقف على المنبر.. خلق الله جل وعلا السحاب أمثال الجبال.. وهذا فيه رد على الكيميائيين والفيزيائيين الذين لا يرون المطر ينزل إلا مما تبخر من البحار والأنهار، هذا الكلام موجود في الكتب التي تدرس في الجامعات فهذا مما يرد عليهم.. قال: وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال.. وهذه من المسائل التي ذكرها الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله تعالى في تعليقه على الظلال في المواطن التي رد فيها على صاحب الظلال خطأه في هذه المسألة، قال: حتى صار السحاب أمثال الجبال.. ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ.. وهو واقف على المنبر فهذا يدل على أن الله جل وعلا رحيم بعباده، وهذا فيه رد على الأشاعرة وغيرهم ممن ينكرون الرحمة ويقولون بأنها ليست صفة لله جل وعلا وإنما المقصود بالرحمة إكرام العبد أو تنعيم العبد أو نحو ذلك.. وفي هذا الحديث وفي غيره إثبات رحمة الله جل وعلا الواسعة، وسرعة غوثه لعباده كما جاء في الحديث «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**» وفي بعض النسخ فيها تحريف وتصحيف «**خيره**» والصواب«**قرب غيره**» يعني قرب تغير الحال، يتحول حال الإنسان في ثوان من حال إلى حال من حال فيها بؤس وجدب وفقر إلى حال فيها إغاثة ونعمة وخير. **(فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها)** فهذا فيه أعظم الأدلة على توحيد الربوبية وأن الرب جل وعلا يغيث المضطر ويكشف الضر ويعطي السائل، فهذا فيه بيان من أدلة أهل السنة على إثبات هذا النوع من التوحيد. قال ( حتى رأيت المطر يتحادر على

لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى ) .. يعني أسبوعا كاملا والمطر ينزل على المدينة حتى جاء أعرابي ذلك الأعرابي أو غيره وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا.. انظر إلى ابن آدم لا يستقر له قرار.. غرق في هذا الخير وهذه النعمة فجاء مرة أخرى يريد أن يكشف عنهم ما نزل بهم من هذا المطر العظيم الكثير. قال ( فادع الله لنا) وهذا استشفاع بالحي القادر الحاضر كما سبق .. فيجوز أن تأتي بإنسان من الصالحين تقول يا فلان ادع الله أن يغيثنا.. أو ادع الله أن ينصرنا كما صنع هذا عمر بن الخطاب بعد موت رسول الله مع العباس.. فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا.. يعني وهو حي.. يعني يدعو لهم.. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا قم يا عباس فادع الله لنا.. فيقوم العباس يدعو لهم فيسقون.. فهذا فيه رد على المخرفين والصوفية والقبوريين والمشركين الذين يستغيثون أو يستشفعون بصاحب القبر ويطلبون منه أن يستسقي لهم، لأن هذا لو كان من الجائز ما ترك الصحابة وما ترك عمر بن الخطاب الاستسقاء بالنبي بعد موته والنبي ﷺ وقبره على بعد خطوات منهم وقام يسأل العباس أن يقوم يدعو لهم.. فلو كان هذا جائزا ما تركوا الرسول الكريم ﷺ وقبره على بعد خطوات وعدلوا عنه إلى العباس هذا مستحيل.

وممن فعل هذا معاوية بن أبي سفيان أيضا عندما أجدبوا أتى إلى يزيد بن الأسود الجرشي وطلب منه أن يستسقي لهم فكان يستسقي لهم فيسقون، وجاء في بعض الروايات التي لم يحقق إسنادها أنه بعد ذلك يزيد كان يسأل الله جل وعلا فيجاب، تجاب دعوته، فكان يقول: اللهم إن معاوية قام بي مقام سمعة فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك.. فدعا بهذا الدعاء يوم الخميس فما جاء الخميس الذي بعده إلا وقد قبض.. وإذا كان صح هذا فإنه يكون من الحرص على الإخلاص وإخفاء الأعمال.. الحرص على الإخلاص لله جل وعلا وإخفاء الأعمال الصالحة.

والمقصود من هذا أن الصحابة رضي الله عنهم فعلوا هذا مع الصالحين منهم، كما ذكرنا في فعل عمر مع العباس أو معاوية مع يزيد بن الأسود الجرشي وأيضا فعله غيرهم مع أبي الأسود الخولاني.

قوله في الحديث قال: فرفع يديه فقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» حوالينا: يعني على أطراف المدينة وعلى الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر، كما جاء ذلك في بعض الأحاديث، قال: فما أشار بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت.. يعني انقلع عنها وزال عنها المطر.. حتى صارت المدينة مثل الجوبة، يعني مثل الفرجة، يعني كان المطر حولها وهي في الوسط مثل الفرجة.

قوله «**فاستسق لنا ربك**» يعني سأله السقيا « **فإنا نستشفع بالله عليك** » هذا هو محل الخطأ « **نستشفع بالله عليك** » يطلب من الله جل وعلا أن يكون واسطة عند الرسول ﷺ.

ثم قال: « **وبك على الله** » يعني يستشفع بدعاء الرسول ﷺ بربه، وهذا جائز، لم ينكر عليه.. لأنه كما قلنا القاعدة في هذا أنه يصح الاستشفاع بدعاء الحي القادر الحاضر وقد نضيف إليه الصالح.. «**وبك على الله**» دل هذا على جوازه، فقال النبي ﷺ: « **سبحان الله ! سبحان الله !**» هذا فيه مشروعية التسبيح في الأمور العظيمة والتسبيح فيه تنزيه لله جل وعلا عما لا يليق به.. والتسبيح مأخوذ من سبح يسبح تسبيحا، تسبيحا: مصدر.. وسبحان: اسم مصدر . والتسبيح: البراءة من الشيء أو البعد عنه.. يذكرون في هذا قول الأعشى يقول:

أقول لما جاءني فخره  سبحان من علقمة الفاخر

يعني بعد علقمة عن الفخر، وكأنه يعني يبرئ علقمة من الفخر لأنه لا يستحق الفخر.

فالتسبيح فيه التنزيه وفيه البراءة من الشيء والبعد عن الشيء.. فقال هنا «**سبحان الله ! سبحان الله !**» « **فما زال يسبح** » يعني ما زال يسبح استعظاما لما قاله الأعرابي مما يوهم النقص استعظاما لما قاله الأعرابي « **نستشفع بالله عليك** » يستشفع بالعظيم الكبير المتعال عند المخلوق

قوله « **حتى عرف ذلك** » يعني عرف الغضب في وجهه ﷺ « **حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك»** » ويحك: كلمة تقال إما للزجر أو لرحمة أو للتعجب أو لغير ذلك، يعني ذكر فيها أهل اللغة عدة معان، قد تكون للزجر بمعنى ويل، بعضهم فسرها هكذا ويح ويل.. وقد يراد بها التعجب، وقد تقال للرحمة ، يعني حسب السياق والقرينة، ولكن لا يراد بها إيقاع الهلكة، يعني إذا قلت لواحد ويحك أو ويلك لا يكون المقصود بهذا إيقاع الهلكة على الشخص، كلمة تقال للزجر ولا يكون المقصود بها إيقاع العذاب أو الهلكة على الشخص الذي يقال له ذلك

قوله « **ثم قال: «ويحك أتدري ما الله؟»** » هذا الاستفهام إما أن يكون للتعظيم أو للنفي « **أتدري ما الله؟**» أي أنك لا تدري عظم شأنه جل وعلا لأنه لو كان يدري عظم شأنه جل وعلا ما قال هذه الكلمة.

قوله « **إن شأن الله أعظم من ذلك** » يعني أعظم مما قلته لأن الله جل وعلا هو الذي يشفع الشفعاء إليه وهو الذي يملك الشفاعة **(قل لله الشفاعة جميعا)** هو الذي يأذن بها لمن شاء بما شاء سبحانه وتعالى فهو المتصرف في كونه وفي خلقه وهو الآمر الناهي الذي يشفع عنده الشفعاء ولا يشفع هو عند أحد سبحانه وتعالى .

وقوله « **إن شأن الله أعظم من ذلك** » فيه تعليم الجاهل، وهذا فيه فائدة مهمة للدعاة إلى الله جل وعلا، إذا وجدوا بعض الناس حصل منهم خطأ في الكلام أو في الفعال نتيجة لجهلهم فينبغي أن يعلم ذلك المخطئ بالحكمة

والموعظة الحسنة، بدون ضرب بدون أذى بدون سب أو غير ذلك، كذلك فيه إنكار المنكر على من أتى به وبيان الخطأ.

قوله : « **إنه لا يستشفع بالله على أحد** » لماذا؟ لكمال عظمته جل وعلا وكمال تصرفه في ملكه جل وعلا.. **(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)** وذكر الحديث.

ومن أعظم ما يدل عليه هذا الحديث وساقه الأئمة من أجله إثبات العلو والفوقية وإلا فإثبات الشفاعة يكفي فيها الآية **(قل لله الشفاعة جميعا)** والأئمة يوردون هذا الحديث من أجل قضية إثبات العلو والفوقية لله جل وعلا، وهذه المسألة فيها أكثر من ألف دليل كما قال ابن أبي العز وغيره .

قوله « **فيه مسائل: الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك»** .

« **الثانية: تغيره تغيرا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة** »..

« **الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله»** لجواز أن تستشفع بالحي القادر الحاضر.

« **الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله»** » وأن فيها تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به..

« **الخامسة: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء** » هذا في حياته.. وقد فهم بعض القبوريين الذين يميلون لسؤال الأموات أن هذا في حياته وبعد موته فيأتي عند قبره يسأله السؤال المباشر وأحيانا يطلب منه الشفاعة، وهذه هي مسألة الاستشفاع التي بينا أنها من الشرك الأكبر إذا طلب الشفاعة من الميت.

تكميل وهذا كلام أهل العلم في مسألة الاستشفاع

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول في هذه المسألة في الفتاوى المجلد الأول صفحة١٥٨ إلى١٥٩ يقول: ( والمشركون من هؤلاء قد يقولون إنا نستشفع بهم، أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا.. فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا ).. إذا هو إذا أتى القبر طلب الشفاعة، يا فلان اشفع لنا، يعني فرق الآن بين أن يقول له يا فلان أعطني، هذه بعض الناس ما يخالف فيها أنها شرك أكبر.. اعطني ، ارزقني ، رد غائبي. هذه الخلاف فيها قد يكون قليلا.. أما الإشكال في: يا فلان اشفع لنا.. سل لنا ربك.. الخلاف في هذه الكلمة، لكي تحرر مواطن النزاع يقول...: ( فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا تمثاله ) .. يقول شيخ الإسلام: ( والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة) ، يعني بعض الناس يظن أن التمثال هو فقط التمثال المجسد، شيخ الإسلام يقول ماذا؟ ( والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم، ) تدخل الكنائس تجدهم يرسمون صورة مكذوبة للمسيح أو لمريم في الكنائس.. قالوا: ومقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها وسيرهم، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا، هذا مقصودهم بهذا الشفاعة، خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله.. فيقول أحدهم: يا سيدي فلان أو يا سيدي جرجس أو بطرس أو يا ستي الحنونة مريم أو يا سيدي الخليل.. يعني إبراهيم.. أو موسى أو غير ذلك: اشفع لي إلى ربك.. فهذه صورة المسألة . يا سيدي فلان اشفع لي إلى ربك.. وقد يخاطبون الميت عند قبره.. سل لي ربك.. فهو لم يقل له أعطني إذ لو قال أعطني لكان الخلاف فيها ضيقا ، لكن هو يقول سل لي ربك أن يعطيني، هنا هذه المسألة هي التي فيها الإشكال، أو يخاطبون الحي وهو غائب، واحد موجود في بلد بعيدة يظن أنه يسمعه وهو في بلده، كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا، وينشدون في ذلك قصائد يقول أحدهم: يا سيدي فلان أنا في حسبك وأنا في جوارك اشفع لي إلى الله ، سل الله لنا أن ينصرنا ، وهو في مكان بعيد.. يعني الشيخ يقول هذا للحي فما بالك أن هذا يقوله بعض الناس للميت، يعني بعض الناس يدعو البدوي وهو في بلد أخرى، قد يكون هو في

الغرب والبدوي في الشرق أو في الشرق والبدوي في الغرب إلى غير ذلك.. سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا.. سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة، كل هذا ( سل الله ) فهو يطلب منه أن يدعو الله جل وعلا له.. أو يقول أحدهم سل الله أن يغفر لي.. ومنهم من يتأول قوله تعالى **(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم)** الآية.. ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئا ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم.. وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء وحكوا حكاية مكذوبة على مالك عندما قال للخليفة سله فإنه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم يوم القيامة..

ثم قال شيخ الإسلام: ( فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ) ، من أعظم أنواع الشرك.. فهذا الكلام لا يصح أن يحمل إلا على الشرك الأكبر، لا يصح أن يقال المراد بهذا الشرك الأصغر كما فهمه بعض الناس.. قال: هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله.. قال تعالى **(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)** إذا هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهو واضح صريح بأن هذا من أعظم أنواع الشرك..

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه على كتاب التوحيد تيسير العزيز الحميد بعد كلام طويل قال في آخره في باب الشفاعة: فإن قلت إنما حكم سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء.. يعني شبهتهم أن هؤلاء كانوا مشركين لأنهم عبدوا الشفعاء الذين اتخذوهم للشفاعة، عبدوهم، ذبحوا لهم ونذروا لهم وطلبوا منهم الطلب المباشر، هذه شبهة عند هؤلاء وأجاب

عنهم الإمام المجدد في كشف الشبهات في كلام طويل، فالشيخ هنا باختصار يقول: فإن قلت.. يعني فإن قال القبوري إنما حكم سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء أما من دعاهم للشفاعة فقط فهو لم يعبدهم فلا يكون ذلك شركا.. قيل : يعني في الرد عليه : مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك والشرك لازم له كما أن الشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه وتعالى والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى، وعلى هذا فالسؤال باطل من أصله لا وجود له في الخارج وإنما هو شيء قدره المشركون في أذهانهم، لماذا؟ يقول: فإن الدعاء عبادة.. هذا بيت القصيد.. دعاء هؤلاء عبادة بل هو مخ العبادة، يعني يقصد حديث الترمذي.. فإذا دعاهم للشفاعة فقد عبدهم وأشرك في عبادة الله شاء أم أبى.. مجرد أنه يذهب إليهم يدعوهم للشفاعة فهذا الدعاء عبادة، ولا اضطرار ولا عبرة بقول من يقول بأن هذا خطاب في غير محله، هذه من تسمية الأشياء بغير اسمها، تسمية الشرك بغير اسمه كتسمية الخمر مشروبات روحية وتسمية الرقص والغناء فنا راقيا ونحو ذلك.. لا عبرة بقول من يقول بأن هذا خطاب وقع في غير محله، كل شيء في الحياة ممكن تقول عنه هذا الكلام.. يقول الشيخ: فإذا دعاهم للشفاعة فقد عبدهم وأشرك في عبادة الله شاء أم أبى هذا موجود كما قلت في التيسير في أول باب الشفاعة بشرح الشيخ سليمان بن عبد الله حفيد الإمام المجدد..

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى كما في التمهيد فقد وُجه إليه السؤال: ما الفرق بين التوسل والشفاعة نرجو التوضيح؟

الجواب: الشيخ يقول بعد المقدمة: تحصل من ذلك أن التوسل يختلف عن الاستشفاع في أن المستشفع طالب للشفاعة، المستشفع يطلب الشفاعة، وقد علم أن الشفاعة إذا طلبها من العبد يكون قد سأل غير الله وأما المتوسل بحسب عرف الاستعمال فإنه يسأل الله لكن يجعل ذلك وسيلة بأحد ... يقول اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان أو بحق فلان أو بحرمة فلان فالاستشفاع سؤال لغير الله وأما الوسيلة فهي سؤال الله بفلان أو بكرامته أو بجاهه.. وكل هذا لا يجوز لأنه اعتداء في الدعاء ولأنه بدعة محدثة ) وهذه الكلمة سببت عند بعض الناس إشكالا.. يقول الشيخ: لأنه بدعة محدثة.. الذي هو بالنسبة

للتوسل.. ووسيلة إلى الشرك.. أما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء.. هل الميت يملك الدعاء؟ الميت لا يستطيع أن يدفع الدود عن نفسه ولا عن عظمه أو عن رميمه، أما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء كالميت أو الغائب كما قلنا أو نحوهما فهو شرك أكبر لأنه طلب ودعاء لغير الله.. إذا هذا تصريح واضح من الشيخ صالح آل الشيخ أن هذا شرك أكبر لأنه طلب ودعاء لغير الله.. فالتوسل بحسب العرف هو من البدع المحدثة ومن وسائل الشرك أما طلب الشفاعة من غير الله من ميت أو غائب فهو دعاء غير الله وهو شرك أكبر لكن الجاهليون والخرافيون والقبوريون يسمون جميع عباداتهم الشركية من طلب الشفاعة والذبح والنذر والاستغاثة بالأموات ودعائهم توسلا، يقولون هذا توسل.. وهذا غلط في اللغة وفي الشرع معا، فالكلام في أصله لا يصح، فإن بين التوسل والشفاعة فرقا من حيث المدلول اللغوي فكيف يسوى بينهما في المعنى أما إذا أخطأ الناس وسموا العبادات المختلفة توسلا فهذا غلط من عندهم لا تتحمله الشريعة ولا تتحمله اللغة.. هذا كلام الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد شرح كتاب التوحيد..

وجاء في الدرر السنية في الجزء الثالث من هذا الكتاب: ( واعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه.. يعني التفريق بين صيغة التوسل والدعاء، فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول اللهم اغفر لي وارحمني وأدخلني الجنة بنبيك محمد ﷺ أو بجاه نبيك محمد ﷺ ونحو ذلك، فهذا بدعة ليس بشرك، وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول يا رسول الله أسألك الشفاعة أو أنا في كرب شديد فرج عني او استجرت بك من فلان فأجرني، ونحو ذلك، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه عن الملة ، هذا تصريح بالحكم ورد على من قال بأن هذا من الشرك الأصغر أو التوسل البدعي، لماذا؟ لأنه صرف حق الله لغيره، لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله فمن دعاه فقد عبده ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه وبين دعائه وسؤاله.. إذا أنت فلا بد أن تفرق بين أن يذهب شخص للميت يقول يا رب أسألك بفلان أو

بحرمة فلان أو بجاه فلان فهذا محرم وهو توسل بدعي وهو وسيلة إلى الشرك ولا يصل إلى الشرك الأكبر. أما إذا قال يا فلان اشفع لنا عند ربك أو سل لنا ربك فهذا دعاء للميت وهذا طلب منه مباشر وهذا من الشرك الأكبر الذي نتكلم فيه ونقلنا فيه كلام الأئمة.. وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه وبين دعائه وسؤاله فافهم ذلك وفقنا الله وإياك لسلوك أحسن المسالك.

والشيخ السعدي في تعليقه على كتاب التوحيد المعروف بالقول السديد في باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح يقول : وأما الممنوع فإنه نوعان: أحدهما محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها.. يعني القبور.. والصلاة عندها والبناء عليها والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة، والنوع الثاني شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم فهذا شرك أكبر وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم، ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه أو متوسطون.. يعني لا فرق أن يقول طلبتهم للشفاعة أو أنهم سيعطونني من عندهم فإن المشركين كانوا يقولون **(ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)** ويقولون **(هؤلاء شفعاؤنا عند الله)** فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم من زعم ذلك فقد كذب ما جاء في الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة من أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين .

يقول الشيخ السعدي: وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل فيه الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتباعه..

ويقول الشيخ الغنيمان أيضا في تعليقه على فتح المجيد في مادة شفع المأخوذة من الشفع: لكن كثيرا من الناس جهل هذا المعنى وقال الاستشفاع هو أن أطلب به الشفاعة من الله أو أطلبه أن يشفع لي ولو كان ميتا ولو كان غائبا وأقول يا فلان اشفع لي أو أنا أدعوك أن تشفع لي وهذا في الحقيقة هو دين المشركين فلم يكن المشركون يعتقدون أن مع الله خالقين مدبرين متصرفين في الكون لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما كانوا يعبدون أصناما وأحجارا أو أشجارا ورجالا صالحين.. إلى أن قال: يعبدونهم ويقولون نحن نطلب الشفاعة منهم وأن يتوسطوا لنا عند الله، هذه عبادتهم وهذا هو الذي جاءت الرسل بإبطاله وبالتصريح بأنه شرك بالله جل وعلا فيجب على المسلم أن يفرق بين دين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ودين أبي جهل.. ولكل قوم وارث، فالأنبياء لهم ورثة والمشركون لهم ورثة فيجب على العبد أن يفرق بين الحق والباطل.. في كلام طويل هذا مختصره..

يقول : أما أن يذهب الإنسان للميت فيقول لهذا الميت اشفع لي أو أعطني كذا أو امنعني من كذا أو أنا أستجير بك من كذا أو فلان ظلمني فانتصر لي منه أو ما أشبه ذلك فهذا دين المشركين وليس من دين الإسلام في شيء بل هو الشرك بعينه، ومن اعتقده ومات عليه فإنه يكون مشركا وهو داخل في قوله تعالى **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** يعني هذا من الشرك الأكبر.. وليس دين المشركين إلا هذا.. هذا مختصر كلام الشيخ الغنيمان.

وكما سبق فهذه مسائل حصل فيها الابتلاء وهي واقعة حتى هذه اللحظة التي نحن فيها، وذكرنا بأن كل أنواع التوسل محرمة أقصد التوسل بالجاه وبالحرمة وغير ذلك أما التوسل بالأعمال الصالحة والتوسل بحبك للنبي صلى الله عليه وسلم وسؤال الصالحين للأحياء القادرين على أن يدعو لك أو لغيرك فهذا كله لا بأس به أما التوسل بالأموات أو التوسل بالحرمة أو بالجاه فكل هذا من المحرم وقد فصلنا فيه الكلام تفصيلا طويلا نظرا لأهميته .